الفصـــل الثـــانى

فى القرن الخـامس الميـلادى : بدأت قـافلة الشـعـر الجـاهلى رحلتـهـا التـاريخـيـة بـعـد أن مـهـد لـهـا الطريق أولئك الرواد الأوائل الذين انتـهى دورهم بظهور القصيدة العربية فى صورتها التى استقرت عليها فى عصر البسوس ، ولكننا لا نكاد نمضى فى الطريق خلف الركب المنطلق فى أعماق الصحراء حتى تلقانا عاصفة تحاول أن تفسد علينا رحلتنا بما تسفيه من رمال تعفى بها على آثار القافلة التى نتبع خطاها ، لقد أخذت العاصفة تثير من حول القافلة عباراً من الشك الثقيل : إلى أى مدى نستطيع أن نطمئن إلى أن هذه الآثار التى نراها على الرمال هى حقاً آثار القافلة ؟ ولم لا تكون آثار قافلة أخرى سلكت الطريق نفسه ومضت تترسم نفس الخطى ؟ وانطلقت من أعماق العاصفة صيحات تشكك فى هذه الآثار ، وظهرت أشد عقبة اعترضت طريق القافلة ، وتراءت على الأفق قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى .

ولنرجع إلى بداية العاصفة لنرى كيف بدأت نذرها ؟ وكيف تجمعت حتى أوشكت أن تقف بنا فى بداية الطريق ؟

كان الرواة منذ العصر الجاهلى يتلقون الشعر ويحفظونه ويروونه شفوياً ولم يثبت بصورة يقينية أن العرب الجاهليين كانوا يكتبون شعرهم ، وإنما الثابت أنهم اعتمدوا على الرواية الشفوية فى حفظ هذا الشعر وتسجيله، ومن الحق أنهم كانوا يعرفون الكتابة فى بعض بيئاتهم ، وخاصة المدن المتحضرة مثل مكة ، ولكن من الحق أيضاً أنهم لم يستخدموها فى تسجيل النصوص الأدبية التى أنتجها شعراؤهم وخطباؤهم ، وإنما اعتمدوا عليها فى كتابة العهود السياسية والاتفاقيات التجارية التى كانت تتصل بحياتهم الاقتصادية ، وأما ما يروى عن كتابة المعلقات وتعليقها على الكعبة ، وما يروى عن الملك النعمان بن المنذر من أنه كان يأمر بكتابة قصائد الشعر العربى التى تعجبه